

أضواء البيان

@ 428 مَّا هَآؤُلَآءِ يَنْطَرِقُونَ { قَالَ { أَفَلَا لَكُمْ عِلْمٌ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } فلما أفحمهم بهذه الحجة لجؤوا إلى القوة ، كما قال تعالى عنهم : { قَالُوا هَآؤُلَآءِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْحَابُ الْآلِهَةِ الَّذِينَ اتَّكَفَمُوا إِنَّ كُنتُمْ فِئَةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ } . ونظيره قوله تعالى عن قوم إبراهيم : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنزَلَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } ، وقوله عن قوم لوط لما أفحمهم بالحجة : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنزَلَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } ، إلى غير ذلك من الآيات . . . وقوله : { سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } يعني لا ينالك مني أذى ولا مكروه ، بل ستسلم مني فلا أؤذيك . وقوله : { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } وعد من إبراهيم لأبيه باستغفاره له ، وقد وفى بذلك الوعد ، كما قال تعالى عنه : { وَآغْفِرْ لَأَبِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الْمُضَلَّلِينَ } ، وكما قال تعالى عنه : { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِغَيْرِكَ وَلِيَ وَلِيَ الْإِدْيَاءِ وَاللَّامُؤْمِنِينَ } . . . ولكن بين له أنه عدو ☐ تبرأ منه ، ولم يستغفر له بعد ذلك ، كما قال تعالى : { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِذَا هُوَ حَلِيمٌ } ، وقد قال تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ } والموعدة المذكورة هي قوله هنا { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } الآية . ولما اقتدى المؤمنون بإبراهيم فاستغفروا لموتاهم المشركين ، واستغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب أنزل الله فيهم { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ عَلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْغَيْبِ } . ثم قال : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ } . وبين في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الإساءة بإبراهيم ، والإساءة الإقتداء ، وذلك في قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُآؤُكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ } إلى قوله { إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } ، أي فلا أسوة لكم في إبراهيم في ذلك . ولما ندم المسلمون على استغفارهم للمشركين حين قال فيهم : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ } .

ءَامَنُوكَ أَن يَسْتَغْفِرُوا ° لِلْمُشْرِكِينَ { بِيَّانِ } تعالى أنهم معذرون في ذلك .
لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله ، وذلك في قوله : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا مَّا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ° حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ } . . .
وقوله في هذه الآية : { أَرَأَيْتَ أَنتَ عَنِ آلِهَتِي } يجوز فيه أن يكون (راعب)
خبراً